

أعضاء البيان

@ 238 @ الصحيحة السالمة من الاختلال .

تنبيه

في هذه الآيات المذكورة سؤال معروف ، وهو أن يقال : إن قول أيوب المذكور في (الأنبياء) في قوله ، { إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنْ نِّىَ مَسَّنِىَ الضُّرُّ } وفي (ص) في قوله ، { إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنْ نِّىَ مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ } يدل على أنه صجر من المرض فشكا منه . مع أن قوله تعالى ، { إِنْ نَزَّلْنَاهُ مِنْ صَابِرًا زَعَمَ الْعَٰدُ أَنْ نَزَّلْنَاهُ إِلَّا وَهَّابٌ } يدل على كمال صبره ؟ .

والجواب أن ما صدر من أيوب دعاء وإظهار فقر وحاجة إلى ربه ، لا شكوى ولا جزع . .
قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة ، ولم يكن قوله {
مَسَّ نَفْسِي الضُّرُّ} جزعاً . لأن الله تعالى قال : { إِنْ نَّصَّاحَةٌ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا } بل
كان ذلك دعاء منه . والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله تعالى ، والدعاء لا ينافي
الرضا . قال الثعلبي : سمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب يقول : حضرت مجلساً غاصاً
بالفقهاء والأدباء في دار السلطان . فسئلت عن هذه الآية الكريمة بعد اجتماعهم على أن قول
أيوب كان شكاية وقد قال الله تعالى : { إِنْ نَّصَّاحَةٌ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا } فقلت : ليس هذا
شكاية ، وإنما كان دعاء . بيانه { فَاسْتَجِبْ دُعَاؤَهُ } والإجابة تتعقب الدعاء لا
الاشتكاء . فاستحسنوه وارتضوه . وسئل الجنيد عن هذه الآية الكريمة فقال : عرفه فاقه
السؤال ليمن عليه بكرم النوال انتهى منه . .

ودعاء أيوب المذكور ذكره ا في سورة (الأنبياء) من غير أن يسند مس الضر أيوب إلى الشيطان في قوله : { أُنْزِيَ مَسَّئِلِي الصُّرُورُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } وذكره في سورة (ص) وأسند ذلك الشيطان في قوله : { أُنْزِيَ مَسَّئِلِي الشَّيْطَانُ بِذُصْبٍ وَعَذَابٍ } والنصب على جميع القراءات معناه : التعب والمشقة ، والعذاب : الألم . وفي نسبة ما أصابه من المشقة والألم إلى الشيطان في سورة (ص) هذه إشكال قوي معروف . لأن ا ذكر في آيات من كتابه : أن الشيطان ليس له سلطان على مثل أيوب من الأنبياء الكرام . كقوله : { إِنْ نَزَّهْ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنْ نَزَّ مَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ } يتوكلون^١ ونه^٢ والذين هم به^٣ مشركون^٤ ، وقوله تعالى : { وَمَا كَانَ لَهُ

